

تطبيق 4: اللغة مؤسسة اجتماعية الحياة مع لغتين

مؤلف الكتاب محمد علي الخولي:

المؤلف كتاب الحياة مع لغتين - الثنائية اللغوية والمؤلف لـ 86 كتب أخرى.
الدكتور محمد علي الخولي، ولد في فلسطين في بلدة طولكرم سنة 1939م.

المؤهلات:

- دبلوم كلية المعلمين، دار المعلمين، عمّان، الأردن، 1958.
- بكالوريوس لغة إنجليزية، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1966.
- دبلوم فن التعليم، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1966.
- ماجستير (اللغويات التطبيقية - لغة إنجليزية)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1971.
- دكتوراه (اللغويات التطبيقية - لغة إنجليزية)، 1975.

الخبرات:

-الدكتور محمد علي الخولي، ولد في فلسطين في بلدة طولكرم سنة 1939م.

المؤهلات:

- دبلوم كلية المعلمين، دار المعلمين، عمّان، الأردن، 1958.
- بكالوريوس لغة إنجليزية، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1966.
- دبلوم فن التعليم، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1966.
- ماجستير (اللغويات التطبيقية - لغة إنجليزية)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، 1971.
- دكتوراه (اللغويات التطبيقية - لغة إنجليزية)، 1975.

الخبرات:

- معلم لغة إنجليزية، الأردن، 1958-1963.
- معلم لغة إنجليزية، كلية الحسين، الأردن، 1966-1967.
- معلم لغة إنجليزية، أبو ظبي، 1967-1971.
- معلم لغة إنجليزية، الكويت، 1971-1975.
- أستاذ مساعد (لغة إنجليزية)، جامعة الرياض، الرياض، 1975-1979.

- أستاذ مشارك (لغة إنجليزية)، جامعة الرياض، 1979-1988.
- أستاذ (لغة إنجليزية)، جامعة الرياض، 1988-1990.
- أستاذ (لغة إنجليزية)، جامعة الإسرائ، الأردن، 1991-1998.
- أستاذ (لغة إنجليزية)، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1998-2002.
- أستاذ (لغة إنجليزية)، جامعة الزيتونة، الأردن، 2002-
- شغل منصب رئيس لقسم اللغة الإنجليزية، وعميداً لمدة اثنتي عشر عاماً في جامعات مختلفة.

الجمعيات الأكاديمية:

-عضو في جمعية TESOL في أمريكا.

-عضو في جمعية أساتذة اللغة الإنجليزية في الجامعات العربية.

-عضو في جمعية الترجمة الأردنية

النص الأول: الثنائية اللغوية المجتمعية والسياسة اللغوية

النص

ولكن يمكن أن تدرس الثنائية اللغوية كظاهرة في مجتمع ما، وتدعى حينئذ الثنائية اللغوية المجتمعية. وفي هذه الحالة تدرس العوامل المتصارعة في ذلك المجتمع وتفاعل هذه العوامل وتأثيراتها السياسية والسكانية. ويستدعي ذلك دراسة اللغة المهيمنة ولغة الأكثرية ولغة الأقلية ولغة التعليم. ويدرس كل هذا للتوصل إلى قرارات سياسية وإدارية بشأن وضع سياسة لغوية، وتقرير اللغة الرسمية للدولة، وتقرير لغة التعليم، ووضع اللغة في وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون .

الحياة مع لغتين (1)

التحليل

"تدرس الثنائية اللغوية كظاهرة في مجتمع ما"

هنا ينتقل الخولي من الفرد إلى المجتمع.

اللغة لم تعد قدرة ذهنية، بل بنية اجتماعية قابلة للدراسة مثل أي مؤسسة اجتماعية.

هذا يعكس تصوراً سوسولوجياً للغة باعتبارها نظاماً جماعياً.

"العوامل المتصارعة في ذلك المجتمع"

اللغة تدخل في شبكة صراعات:

- صراع هوية
- صراع سلطة
- صراع ديمغرافي

إذن اللغة ليست محايدة، بل عنصر فاعل في البنية الاجتماعية.
"اللغة المهيمنة - لغة الأكثرية - لغة الأقلية - لغة التعليم"
هذا التقسيم يكشف:

- توزيعًا هرميًا للغات
- تفاوتًا في المكانة الاجتماعية
- ارتباط اللغة بالسلطة

وهنا تتجلى اللغة كمؤسسة ذات تراتبية داخلية.

"قرارات سياسية وإدارية"

هذه العبارة حاسمة جدًا.

اللغة تصبح موضوع:

- تشريع
- تخطيط
- إدارة رسمية

وهنا تتحول إلى مؤسسة رسمية مثل القضاء أو التعليم.

الخلاصة الجزئية

في هذا النص تظهر اللغة بوصفها:

- موضوع سياسة عامة
- عنصر تنظيم اجتماعي
- أداة ضبط إداري

وهذا يتجاوز التصور البنيوي الصرف إلى تصور مؤسسي كامل.

النص الثاني: اللغة والاندماج الاجتماعي

النص

إن الضعف في اللغة الثانية سيعيق الاتصال مع الناس، مما يزيد في عزلته الاجتماعية. فضعه اللغوي يسبب له مشكلات في التكيف الاجتماعي، ومشكلات في تكوين علاقات اجتماعية، ويسبب له شعورًا بعدم النجاح في إتقان اللغة .

الحياة مع لغتين (1)

التحليل:

"سيعيق الاتصال مع الناس"

اللغة شرط للاندماج.

هي ليست أداة تواصل فحسب، بل شرط للوجود الاجتماعي الفاعل.

"عزلته الاجتماعية"

هنا يظهر البعد الاجتماعي بوضوح:

القصور اللغوي = عزلة

العزلة = ضعف انتماء

أي أن اللغة تعمل كآلية إدماج أو إقصاء.

"مشكلات في التكيف الاجتماعي"

التكيف الاجتماعي مرهون بالكفاءة اللغوية.

اللغة هنا تؤدي وظيفة:

• هوية

• نفسية

• اجتماعية

"عدم النجاح في إتقان اللغة"

الفشل اللغوي يتحول إلى:

• إحياء نفسي

• ضعف ثقة

• تراجع اجتماعي

وهذا يبرز الترابط بين النظام اللغوي والنظام الاجتماعي.

قراءة تركيبية عامة:

من خلال النصين يتضح أن الخولي يرى اللغة:

1. بنية سياسية (سياسة لغوية)

2. بنية هرمية (مهيمنة/أقلية)

3. أداة إدماج وإقصاء

4. عنصرًا في تشكيل الهوية

5. مؤسسة رسمية تخضع للتخطيط

وهذا ينسجم مع الرؤية التي تعتبر اللغة:

• نظامًا اجتماعيًا سابقًا على الفرد

• قوة منظمة للعلاقات

• إطارًا يحدد الانتماء

بل يمكن القول إن الخولي يتجاوز التصور النظري المجرد إلى تطبيق سوسيلساني عملي.

مقارنة:

أولاً: اللغة كنظام اجتماعي:

عند دي سوسير

يرى دي سوسير أن اللغة (**langue**) نظام اجتماعي من العلامات، موجود في أذهان أفراد

الجماعة، لكنه ليس ملكًا فرديًا.

اللغة:

• سابقة على الفرد

• قائمة على الاتفاق الاجتماعي

• ثابتة نسبيًا

• مستقلة عن الاستعمال الفردي (parole)

إذن اللغة عنده مؤسسة اجتماعية بالمعنى البنوي: نظام قواعد مشترك.

عند محمد علي الخولي:

في النصوص التي حللناها، يظهر أن الخولي يتبنى هذا الأساس، لكنه يوسعه عمليًا.

فعندما يتحدث عن:

• اللغة المهيمنة

• لغة الأقلية

• لغة التعليم

• السياسة اللغوية

فهو يتعامل مع اللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية رسمية تدخل في:

• التخطيط

• التشريع

• التراتبية الاجتماعية

إذن الخولي ينتقل من البعد البنوي إلى البعد المؤسسي الواقعي.

ثانيًا: العلاقة بين اللغة والسلطة:

عند دي سوسير:

لا يركز سوسير مباشرة على السلطة أو السياسة، بل يهتم بالبنية الداخلية للنظام اللغوي.

عند الخولي:

اللغة مرتبطة بـ:

• القرارات السياسية

• تحديد اللغة الرسمية

• لغة الإعلام والتعليم

وهنا تصبح اللغة جزءًا من جهاز الدولة.

الفرق الجوهرى:

سوسير يدرس اللغة كنظام

الخولى يدرس اللغة كنظام داخل بنية سلطة

ثالثًا: اللغة والانتماء الاجتماعى:

عند دي سوسير:

اللغة شرط للانتماء إلى الجماعة اللغوية.

لكن التحليل يظل نظريًا.

عند الخولى:

نصوص العزلة الاجتماعية)

الحياة مع لغتين (1)

(تكشف بعدًا تطبيقيًا:

• ضعف اللغة = عزلة

• ضعف اللغة = تعثر تكيف

• ضعف اللغة = خلل هوية

وهنا تتحول اللغة إلى:

• رأسمال اجتماعى

• أداة اندماج

• معيار قبول اجتماعى

رابعًا: الثنائية اللغوية كنظام اجتماعى:

الخولى يميز بين:

• الثنائية الفردية

• الثنائية المجتمعية

وهذا يتوافق مع تمييز سوسير بين:

• "parole" الفردي

• "Langue" الجماعي

لكن الخولي يضيف:

• الثنائية الأفقية

• الثنائية الرأسية

• الثنائية القطرية

أي أنه يطور التصنيف البنيوي إلى تصنيف اجتماعي-وظيفي.

خامساً: التحول اللغوي والاستقرار:

في حديثه عن:

• الثنائية المستقرة

• الثنائية المتزايدة

• الثنائية المتناقصة

الحياة مع لغتين (1)

نجد تصوراً ديناميكياً للغة داخل المجتمع.

اللغة هنا:

• تخضع للتغير السكاني

• تتأثر بالهجرة

• ترتبط بالسياسة التعليمية

وهذا بُعد لم يعالجه سوسير تفصيلاً.

الخلاصة المقارنة

دي سوسير	محمد علي الخولي	البعد
نظام علامات اجتماعي	نظام اجتماعي + مؤسسة سياسية	طبيعة اللغة
البنية	المجتمع والسياسة	مركز التحليل
اللغة تسبق الفرد	اللغة قد تُفرض عليه اجتماعيًا	العلاقة بالفرد
غير مركزية	عنصر أساسي	السلطة
غير محور أساسي	محور تحليلي رئيس	الثائية

النتيجة النظرية

يمكن القول إن:

- سوسير وضع الأساس النظري لفهم اللغة كمؤسسة اجتماعية.
- الخولي وسّع هذا المفهوم إلى أبعاده السوسiolسانية والسياسية والهوية.

أي أن الخولي يمثل انتقالاً من:

البنوية النظرية إلى السوسiolسانيات التطبيقية

توضيح إضافي:

يُعد مفهوم «اللغة مؤسسة اجتماعية» من المرتكزات النظرية في اللسانيات الحديثة، حيث لم تعد اللغة تُفهم باعتبارها مجرد وسيلة تعبير فردي، بل نظامًا جماعيًا منظمًا يحكم العلاقات التواصلية داخل المجتمع. وإذا كان التصور البنيوي عند دي سوسير قد أرسى الأساس النظري لهذا الفهم، فإن كتاب الحياة مع لغتين لمحمد علي الخولي يقدم معالجة تطبيقية سوسiolسانية تكشف أبعاد اللغة المؤسسية في الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي.

يسعى هذا المقال إلى تحليل تصور الخولي للغة بوصفها مؤسسة اجتماعية، وربطه بالجذور البنيوية السوسيرية، مع إبراز أوجه التطوير التي يقدمها.

أولاً: من اللغة كنظام إلى اللغة كمؤسسة

عند دي سوسير، تُعرّف اللغة (langue) بأنها نظام من العلامات يوجد في ذهن الجماعة، وهو سابق على الفرد، ومفروض عليه بصورة ضمنية. اللغة ليست نتاج إرادة فردية، بل هي اتفاق اجتماعي مستقر نسبيًا، يتيح إمكان التواصل.

هذا التصور البنيوي يظهر في كتاب الخولي بصورة واضحة، غير أنه يتجاوز الإطار النظري المجرد إلى الواقع الاجتماعي الملموس. فعندما يدرس الخولي الثنائية اللغوية المجتمعية، يربطها مباشرة بالعوامل السياسية والسكانية وباللغة المهيمنة ولغة الأقلية ولغة التعليم

الحياة مع لغتين (1)

هنا تتحول اللغة من نظام ذهني إلى عنصر في بنية السلطة والتنظيم الاجتماعي.

ثانيًا: اللغة والسلطة والتنظيم الاجتماعي

يبرز في معالجة الخولي أن اللغة ليست فقط وسيلة تواصل، بل أداة تنظيم سياسي وإداري. فالحديث عن:

• تقرير اللغة الرسمية

• تحديد لغة التعليم

• ضبط اللغة في وسائل الإعلام

يكشف أن اللغة تخضع للتخطيط والتقنين. وهذا ما يجعلها مؤسسة شبيهة بالمؤسسات السياسية أو التربوية.

اللغة هنا تؤدي وظائف:

1. وظيفة تنظيمية (تنظيم المجال العام)

2. وظيفة رمزية (ترسيخ الهوية الوطنية)

3. وظيفة سلطوية (تحديد الهيمنة اللغوية)

وبذلك يصبح البعد الاجتماعي للغة بعدًا مؤسسيًا مكتمل الأركان.

ثالثًا: الثنائية اللغوية كتجسيد للمؤسسية:

يقدم الخولي تمييزًا دقيقًا بين الثنائية الفردية والثنائية المجتمعية

الحياة مع لغتين (1)

الثنائية الفردية تعني قدرة الشخص على استعمال لغتين، أما الثنائية المجتمعية فتعني وجود لغتين مستعملتين في المجتمع، ولو لم يكن كل أفراده ثنائيي اللغة. هذا التفريق يؤكد أن اللغة لا تُحتزل في الكفاءة الفردية، بل في بنية التوزيع الاجتماعي. فاللغة قد تتوزع وفق:

- المجال (البيت/المدرسة)
- الطبقة الاجتماعية
- الوظيفة الرسمية

ومن ثم تصبح الثنائية اللغوية تعبيراً عن بنية اجتماعية، لا مجرد مهارة فردية.

رابعاً: اللغة والاندماج الاجتماعي:

من أهم النصوص الدالة في الكتاب ما يتصل بالعزلة الاجتماعية الناتجة عن الضعف اللغوي الحياة مع لغتين (1)

يبين الخولي أن ضعف الكفاءة في اللغة الثانية يؤدي إلى:

- إعاقة الاتصال
- صعوبات في التكيف
- شعور بالعزلة والإحباط

هذا التحليل يكشف أن اللغة تمثل «رأسماً اجتماعياً». فامتلاك اللغة شرط للاندماج والمشاركة، في حين يؤدي فقدانها إلى الإقصاء الرمزي والاجتماعي.

وعليه، فإن اللغة تمارس وظيفة إدماجية وإقصائية في آن واحد، وهو ما يعمّق فهمها كمؤسسة اجتماعية ذات أثر مباشر في تشكيل العلاقات الإنسانية.

خامساً: الدينامية اللغوية والتحول الاجتماعي:

لا يتوقف الخولي عند توصيف الواقع، بل يتناول حالات الاستقرار وعدم الاستقرار في الثنائية اللغوية الحياة مع لغتين (1)

فقد تكون الثنائية:

- مستقرة

• متزايدة

• متناقصة

وهذا يدل على أن اللغة تتأثر بالهجرة والسياسة التعليمية والتغير الديمغرافي. إنها ليست نظامًا ساكنًا، بل بنية دينامية تتفاعل مع التحولات الاجتماعية.

وهنا يتسع مفهوم المؤسسة ليشمل البعد التاريخي؛ فاللغة كالمؤسسات الأخرى تخضع للتطور والتراجع.

سادسًا: مقارنة تركيبية

إذا قارنا التصورين، نجد أن:

• دي سوسير ركز على البنية الداخلية للنظام اللغوي.

• الخولي ركز على موقع اللغة داخل البنية الاجتماعية والسياسية.

سوسير قدّم الأساس النظري لمفهوم اللغة كنظام اجتماعي. الخولي نقل المفهوم إلى ميدان التطبيق السوسiolساني، وأظهر كيف تتحول اللغة إلى أداة تنظيم وهوية وسلطة.

خاتمة

يتضح من خلال تحليل كتاب الحياة مع لغتين أن محمد علي الخولي لا يكتفي بإعادة إنتاج التصور البنيوي للغة، بل يطوره في اتجاه سوسiolساني تطبيقي يجعل اللغة مؤسسة اجتماعية مكتملة الأبعاد. فاللغة عنده:

• نظام جماعي

• أداة سلطة

• عنصر هوية

• شرط اندماج

• مجال تخطيط سياسي

وهكذا تتجاوز اللغة كونها نسفًا من العلامات، لتصبح إطارًا ينظم الحياة الاجتماعية ذاتها.

إن هذا التحول من النظر إلى اللغة كنظام إلى النظر إليها كمؤسسة، يمثل انتقالاً معرفياً من البنيوية النظرية إلى اللسانيات الاجتماعية التطبيقية، وهو ما يمنح معالجة الخولي قيمة خاصة في الفكر اللساني العربي المعاصر.